بني كنيسة بصنعا وكتب الى النجاشي قد بنيت لك الكنيسة واريد ان
اصرف حج العرب اليها فجاء رجل من بني كنانة فاحدث فيها ولطخ قبلتها
بالعذرة احتقارا لها فسمع بذلك ففضب وحلف ليسيرن الى كعبة
العرب ويهدمها فامر الحبشة فتهايأت ثم سار وخرج معه بالفيل وهو
يسمى محمودا وقيل اكثر فخرج عليه حلوك فقرهم وسرهم الى ان قرب من
المغمس عند عرفه فبلغ ذلك عبد المطلب فقال يا معشر قريش الاصل
لهدم البيت انله ربا يحميه ثم ارسل ابرهة خيلا فاستاقت ابل قريش
وغيرهم ولعبد المطلب فيها اربعمائة ناقة فركب مع قريش حتى بلغ
ثبيرا كما قدمنا ثم ارسل ابرهة رجلا لسيدهم وهو عبد المطلب ليخبره
انه لا حاجة له بدمائهم وانما غرضه تخريب الكعبة فان مكنتونيه
نجوتم فلما دخل رسول ابرهة مكة ورأى وجه عبد المطلب خضع
وتلجلج لسانه وخر مغشيا عليه وخار كما يخور الثور عند ذبحه فلما
افاق خر ساجدا لعبد المطلب وقال اشهد انك سيد قريش حقا فلما
بلغه مقال ابرهة قال عبد المطلب لا طاقة لنا بحربه والبيت بيت الله
فان منعه فهو بيته ثم سار معه الى ابرهة فمر في طريقه بالفيل كما
قدمنا فلما وصل اليه اكرمه واجله ونزل عن سريره وجلس معه على بساطه
ثم قال له ما حاجتك قال ان ترد علي ابلي فقال له كنت اعجبتني ثم
زهدت فيك تكلمني في ابلك دون بيت هو دينك ودين ابائك
فقال اما الابل فانا رادها واما البيت فله رب يحميه فرد اليه ابله
فرجع فاخبرهم فتحرز وا في شعف الجبال والشعاب ثم اخذ عبد
المطلب بحلقة باب الكعبة ومعه نفر من قريش فدعوا واستنصروا
فلما اصبح ابرهة بالمغمس هيأ فيله ودنوده لدخول مكة بركب الفيل
في محله بناء على الاصح انهم لم يدخلوا الحرم وقيل دخلوه وانه بركب كما
وصل الى وادي محسر وهو اسمي بذلك لان فيلهم حسر ايا اعيا فيه
فوضوه في راسه ومراق بطنه حتى بالحديد قال السهيلي قوله
فبرك

فبرك الفيل فيه نظر لان الفيل لا يبرك فيحتمل ان يكون بروكه سقوطه
على الارض لما جاء من امر الله سبحانه ويحتمل ان يكون فعل فعل البارك
الذي يلتزم موضعه ولا يبرح فعبر بالبارك عن ذلك قال وقد سمعت
من يقول ان في الفيله صنفا يبرك كما يبرك الجمل فان صح فذاك والا
فتاويله ما قدمناه فابى فوجهوه نحو اليمن فقام ونحو الشام
فمشى ثم نحو المشرق فمشى ثم نحو الكعبة فابى ثم ارسل الله عليهم
طيرا ابابيل كامثال الخطاطيف من البحر مع كل طائر منها ثلاثة احجار
في منقاره وحجران في رجليه كامثال العدس لا تصيب احدا منهم
الا قتلته فخرجوا هاربين يتساقطون بكل طريق واصيب ابرهة في
جسده بداء تساقطت منه انامله حتى وصل صنعاء وهو مثل فرخ
الطائر وسال منه الصديد والقيح والدم وما مات حتى تصدع قلبه
وقد دلت القصة على غاية شرف نبينا صلى الله عليه وسلم فانها كانت
ارهاصا وتاسيسا لنبوته وفيما نحن فيه من خضوع ابرهة لعبد
المطلب ونزوله عن سريره لاجله وسجود الفيل له وتلجلج لسان رسوله
وخضوعه وانه خر مغشيا عليه وخار كما يخور الثور ما يؤيد ما ذكر كعب
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث ان سبب ذلك هو مثل النور
الذي حصل في صلب عبد المطلب ووجهه وهو صلى الله عليه وسلم حمل
فكيف حال من شاهده صلى الله عليه وسلم وزاده فانه بلا شك احق
بذلك واولى ولما كانت ارهاصا وتاسيسا حمى الله تعالى قريشا
من ابرهة وشرفهم على العرب ولذا دانت العرب لشرفهم لعلمهم بان
ابرهة لا قدرة للعرب باسرهم على قتاله فاذا تولى الله نصرتهم عليه دل
ذلك على عظم اعتناء الله بهم ولقد مضى الارهاص بعد مجيء النبوة
وثبوتها بالدليل القطعي اعني الحجاج قبحه الله حتى خرب الكعبة
ورماها بالمنجنيق ولم يعاقب بشيء وقد تحصل الرعدة من زيادة
المحبة عند ذكر المحبوب كما وقعت لسلمان رضي الله عنه عند ذكره

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)